دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: عمارة الرافدين وتأثيراتها الحضارية
المصدر: مجلة الحكمة
الناشر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع
المؤلف الرئيسي: عطية، سعد جهاد
المجلد/العدد: ع28
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2013
الصفحات: 213 - 225
رقم MD: 593888
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: AraBase
مواضيع: الفن المعماري ، العراق ، الحضارة العربية ، العادات و التقاليد، الزخرفة المعمارية ، النقوش السومرية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/593888

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

عمارة الرافدين وتأثيراتها الحضارية

الاستاذ سعد جهاد عطية
استاذ بمعهد الهندسة المعمارية والعمران جامعة البليدة 2
البريد الالكتروني:Saadjihad354@ yahoo. Fr

الفن هو حالة تتجسد فيها فعاليات أمة أو مجموعة بشرية ، وهو مظهر لحضارة قومية محددة ، وهو ليس كالعلم الذي يتصف بالشمولية بحكم إرتباطه بعقل وحاجيات الإنسان ، لكن الفن يعكس النزعة القومية نظراً لإرتباطه بروح الأمة وتراثها وظروفها وتاريخها.

الحضارات التي ظهرت على وادي الرافدين بحدود الألف الثاني قبل الميلاد تتجسد فيها وحدة التقاليد وعكست العمارة درجة انسجام الإنسان مع محيطه ، وهي تساهمُ في تأطير المجتمع المدني والاستجابة الى احتياجاته وتسيير حياته والرقي بها ، ومن ثمة فهي تكتسي بعداً سياسياً وعمرانياً ، وتدخل في علاقة التي تجمع وحدة الأعمال الفنية ، تلك التي تصل بين مفهومي (الإله والملك) ، بينما تظهر الاختلافات في المهارات الفنية والأساليب السائدة كالفرق بين الجلال والجمال وتأثيرات أخرى تتعلق في البيئة والمناخ والعادات الاجتماعية ، تكونت لدى العراق ثروة معمارية ، وكانت حصيلتها مجموعة من النشاطات الفنية ، أفرزت أشكالاً تتابعتها الأجيال ونقلتها عِبرَ المراحل التاريخية ، واستطعنا أن نتلمس هذا التدرج في الأشكال في كثير من المعالم المعمارية في حقبة ، فهي إذن تحمل خلاصة الأفكار والفعاليات الحضارية وسماتها الفنية.

Résumé

Art se reflète dans les activités d'une nation ou un groupe et est une manifestation de la civilisation nationale et non pas comme une science qui est totalitaire par sa liaison avec l'esprit humain a besoin, mais l'art reflète le nationalisme comme ce qui a trait à l'esprit de la nation et de son patrimoine et de son histoire.

Les civilisations qui ont émergé en Mésopotamie vers la deuxième millénaire avant notre ère la Mésopotamie civilisation reflètent une tradition qui allie art, ceux des concepts (Dieu et le roi), tandis que

les différences dans les compétences professionnelles et méthodes en vigueur comme la différence entre la grâce et de beauté et d'autres effets sur l'environnement et le climat et les habitudes sociales, à une époque sans les autres races de la terre d'Iraq, nous sommes avec des idées abstraites et des caractéristiques culturelles et artistiques des événements qui sont caractéristiques des civilisations précédentes Le lien entre les anciennes civilisations de la Mésopotamie en raison de l'imbrication des éléments et l'interaction entre eux, donc presque toutes les étapes de la civilisation sur les autres ruines.

تمهيد

كان الفن قد ظهَر لأول مرة في وادي الرافدين ووادي النيل ، كوسيلة تعبير عن ذات الإنسان وذلك منذ نهاية العصر الحجري المتأخر أي في عصور ما قبل السلالات وفجر الحضارة ، وتميز بطابع وتقاليد المنطقة ، ومن المعروف أن التجمعات البشرية تنفرد وتتميز بتراثها الفني الخاص وثقافاتها التي تعكس شكل المجتمعات ومميزاتها في حقبة زمنية وبقعة جغرافية محددة ، والتراث تكونه مجموعة من العوامل من ضمنها البيئة والمناخ والعادات والتقاليد ،

والفن هو حالة تتجسد فيها فعاليات أمة أو مجموعة بشرية، وهو مظهر لحضارة قومية محددة ، وهو ليس كالعلم الذي يتصف بالشمولية بحكم إرتباطه بعقل وحاجيات الإنسان ، لكن الفن يعكس النزعة القومية نظراً لإرتباطه بروح الأمة وتراثها وظروفها وتاريخها.

لقد كانت حضارة ما بين النهرين في مراحلها التاريخية التي استمرت أكثر من ثلاثة الآف سنة حضارة واحدة غير متجزئة، ولا يدل تعدد التسميات على إختلاف حضاري إنما يرتبط بالجانب السياسي من قيام حكم وزوال آخر أو من دولة إلى أخرى ، حضارة وادي الرافدين حضارة واحدة متماسكة في التربة والمواقع والمدن ، ومترابطة الحلقات في التاريخ ، وما المراحل التاريخية للسومريين والأكاديين و البابليين ثم الآشوريين والكلدانيين إلا وجه لعملة واحدة ، فالسومريون نسبة لمنطقة سومر، حيث تركوا إرثهم فيها لمن جاء بعدهم ، وفعل الأكاديون بمدينة أكاد نفس الشيء في تركهم ميراثهم للبابليين بمدينة بابل واستفاد الآشوريون في آشور بما تركه لهم البابليون ، وعندما سيطر الكلدانيون على الحكم وكانت عاصمتهم بابل ،

وبالرغم من تغيير الحكم من مدينة إلى أخرى ، فالشعب هو نفسه والحضارة هي امتداد لهذا الشعب ، وهي وجدت وترعرعت في محيط جغرافي واحد وبقعة من الأرض محصورة بين النهرين ، والحضارة كما وصفها الدكتور علي القاسمي (هي حصيلة التراكم الكمي والكيفي لإسهامات الشعوب المختلفة وخبراتها) حيث بدأت منذ حوالي سنة 3200 ق.م إلى سنة 539 ق.م، وما تزال أصداؤها وتأثيراتها باقية حتى ، وهي تزخر بأنواع كثيرة من الفنون في العمارة والنحت والنقش والخزف الخ .

عكست العمارة درجة انسجام الإنسان مع محيطه ، وهي تساهمُ في تأطير المجتمع المدني والاستجابة الى احتياجاته وتسيير حياته والرقي بها ، ومن ثمة فهي تكتسي بعداً سياسياً وعمرانياً ، وتدخل في علاقة جدلية مع الحكم بحيث يصير العدل أساساً للملك وشرط ازدهار العمارة .

وقد استفادت الشعوب التي تلت الحضارة القديمة الممتدة من العصر السومري الى العصر الآشوري ، من الموروث العمراني والمعماري والفني وظلت الأساليب القديمة تعيش وسط هذه الشعوب مثلما نراه في عمارة بغداد العباسية ، الذي جسدته شخصية الخليفة ابو جعفر المنصور وهو يشبهُ في ولعه بالبناء وتأثره بالتخطيط من بعض الأوجه الملوك الآشوريين العظام حيث وقع اختياره على الشكل المستدير لمدينته بغداد ،على غرار مدن عراقية قديمة مماثلة لأسباب موضوعية مثلما يرى إحسان فتحي نقلا عن إبن الأثير

وبعدَ مرور السنين تجسدت هذه الأمور في شخصية أبو جعفر المنصور باني بغداد ، فبالرغم من ممارسته للسلطة ، كان عارفاً بالفقه مقدماً الفلسفة محباً للعلماء ، وقد كان مولعاً بالعمارة ، فشيدَ الهاشمية بالقرب من الكوفة حال توليه الخلافة لتكون مقراً له ،و أختار المنصور لبغداد الشكل الدائري الذي تعود جذوره الى شكل البناء السومري في مراحله الأولى ، وفي عمارة مدينة الحضر التي ظهرت بالقرب من مواقع الحضارة الآشورية

وتتصل الفنون بشكل عام بروح الحضارة للفترة أو العصر أو الكتلة الزمانية ، وإن الدراسة العلمية لما صنعه الإنسان ، وما يرتبط به من مواضيع وأحاسيس تساعدنا على فهم أعمق للحضارة ، وهذا يوضح لنا معرفة أَفضل في أسلوب تفكير الشعوب ، ويكون الحكم على القيمة الفنية والمستوى الجمالي لمجموع الأعمال المرتبطة بواقع اجتماعي واقتصادي أن الكثير من الآثار العراقية كالحلي والأواني

تدلنا على التحول من الجانب النفعي الى الجانب الجمالي لأنهما يشتركان بنفس الهدف والنتيجة.

وعرفت التماثيل المصنوعة من الطين أو الحجر ، التي ترتبط مواضيعها بالعبادة والخصوبة ، الناحية الجمالية التي يمكن أن نتحسسها ، وهي في هذه الحالة تعكس جانب التقديس والجلال

ثم إنتقل الشكل من الواقعية الى التحوير أو التجريد ثم الرمزية ، وربما أُريد من خلال هذا كأسلوب تعبير عن اللغة في رؤية الشئ ، مع الارتباط في علاقات أخرى كالمعتقد والتأثيرات البيئية .

ودراسة كل هذه العناصر تمنحنا معرفة المزيد عن ما كان يفكر به إنسان العصور القديمة .

الزخارف المعمارية

1 - الزخرفة بالمخاريط الفخارية .

المخاريط الفخارية هي أشكال مصنوعة من الطين المفخور أو الجص يبلغ طول الواحد منها عشرة سنتيمرات تقريباً وعرض رأسه 2 سنتيمتر، شبيه بالمسمار، رؤوسها مستوية ومزينة بحزوز ملونة بالألوان السوداء والبيضاء والحمراء ، تغرز هذه المخاريط بالآلاف بطبقة من الطين ، على الجدران أو الأعمدة وأنصاف الأعمدة ، وتم تنظيمها لتؤلف أشكالاً زخرفية فسيفسائية تشبهُ في مظهرها أشكال المنسوجات ، وهذا يقودنا الى افتراض قربها من طريقة نسج الحصر.

وقد شاعَ استعمالها في بلاد الرافدين لقرون عديدة ، وظهرَ استعمالها أول مرة عند السومريين، وفي قاعدة الجدران والأعمدة ، وهذه الطريقة في عمل جدران متينة مكسية بالفسيفساء تعدُ صفة مميزة لعصر فجر التاريخ كله ،

وهذه الطريقة تتلائم بشكلٍ ما مع الطبيعة السومرية ، ويبدو أن هذه الممارسة لم تكن في مجال العمارة فحسب ، بل والى حدٍ واسع في الفنون التشكيلية حتى نهاية العصر السومري ، وزينت بعض الجدران المبنية بالطين بالحجر الملون ، باستعمال نفس الطريقة في غرس القطع الحجرية الصغيرة بالطين .

وهذه الأحجار حمراء وسوداء وبيضاء مثلت جدران الفناء ، ويبدو الصرح برمته وكأنهُ أشبه بانتقال من البناء الحجري الخالص الذي يمثله الحجر الكلسي الى بناء من الطين مدعم بواجهات حجرية ،

وربما كانت هذه الدعائم الفسيفسائية المُزينة بأشكال زخرفية في الغالب زخارف هندسية طبقاً لأجزاء المادة المكونة للشكل الزخرفي ، لم تكن سوى بديلاً لشكل الأعمدة الحجرية ، وإن الأعمدة والدعائم هي عناصر تكوينية في البناء.

إن دراسة الأشكال الزخرفية تؤكد بأنها لا تعني سوى أشكالاً فَرضتها طبيعة المادة المُستعملة بالرغم من طابعها الديني ، ووجودها في مكان مقدس عند السومريين ، واحتوائها في الغالب على ثلاثة الوان هي : الأحمر ، الأسود ، الأبيض ، ربما كان لدلالات ومعاني فلسفية وتعبدية

وقد وفقَ السومريون في طريقة تدرج أنواع زخارفهم ، فكانت الزخارف تصبحُ أكثر تسطحاً وأقلُ عمقاً كلما زاد ارتفاعها ، وهي لا تعدو أن تكون طريقة لاحترام قواعد الزخرفة ومنطقها

2- الزخارف الجصية

عرفَ العراقيون الزخرفة في الجص وذلك منذ عصور موغلة في التاريخ ، فبلاد الرافدين غنية بحجر الكلس ، الذي يتم منه الحصول على الجص وذلك بحرقه وسحقه فطليت به الجدران ثم نقشت عليها أشكالاً زخرفية ، إن فكرة إضافة مادة الجص وتغطية الجدران بها في الحجرات والدهاليز والأجنحة في المنشآت المعمارية فكرة شرقية أساسها وادي الرافدين وبلاد فارس لطبيعة المناخ الذي يسودهما ، ولما يتسم به الجص كمادة عازلة وحافظة للرطوبة ، ومنها انتشرت فكرة استخدام الجص في التكسية الجدارية والزخرفة لمناطق أخرى في العالم القديم كالإغريق والرومان وغيرهما ، فأخذوا تلك التقاليد الفنية المتصلة بتزيين واجهات الأبنية المبنية من الآجر،تتميز الزخارف الجصية بأسلوبها الفني والتقني العالي ، ومن أقدم الزخارف الجصية المُكتشفة في العراق في القرن الأول الميلادي في عمائر مدينة آشور ، كذلك الزخارف الجصية المكتشفة في منشآت الوركاء في معبد (كاريوس) ، والزخارف في كلا الموقعين عبارة عن نقوش هندسية ونباتية بسيطة تتخللها رسوم بعض الحيوانات عثر عليها في بلاد بابل فضلا عن مكتشفات أخرى لبعض القطع الزخرفية في المسرح الإغريقي ببابل ، وظهرت نفس الفكرة في آشور

باستخدام نفس الأساليب السابقة التي عرفتها بابل ، حيث تم دمج الفكرة البابلية لإظهار تأثير الضوء والظلال على عناصر الزخرفة المعمارية ، ويزداد تأثير النسيج الزخرفي عندما يتعرض لأشعة الشمس المباشرة ، وكل التأثيرات التي ظهرت تؤكد إستمرار التقاليد البابلية القديمة في مجال المخطط الزخرفي.

هذه القيم الجمالية المتمثلة في الزخارف الهندسية والنباتية، ورسوم الكائنات الحية وما أضافته عليها الألوان والضوء والظلال من رقة وجمال ، سوفَ يستمرُ أثرها في المنظومة الفنية للآشوريين مثلما يَتضح ذلك في الصور الملونة لقصر نبو خذ نصر.

3- الزخارف الآجرية

لعبت الزخارف الآجرية دوراً جمالياً في مباني وواجهات بلاد الرافدين ، في العصر البابلي والآشوري ، بالرغم من قلة الشواهد التي تدلُ على استعمالها في العراق قبيل الإسلام ، وظهرت هذه الزخارف في الكوفة والبصرة ، في العصرين الأموي والعباسي ، وَكانت هذه الزخارف موجودة في جدران قصور وحمامات وخانات المدينة المدورة (بغداد) ،إن أقدم النماذج في زخرفة الأطباق النجمية كان قد ظهر على زخرفة الحجر ثم الفسيفساء وبعدها في الرسوم الجدارية ، ثم تَطور هذا النوع من الزخرفة الآجرية في القرن السابع الهجري ، وتجسدَ في المباني العباسية وأهمها زخارف واجهة المدرسة المستنصرية ببغداد ويلاحظ فيها الزخرفة الهندسية مايطلق عليه إسم (الزخرفة الحصيرية) وهي طريقة رصف الآجر بطريقة بسيطة ينتج عنها مايشبه نسيج الحصر ، لتشكل زخارف هنديسة متناسقة ، بخطوط مستقيمة ومتداخلة ، وكلما زادت تعقيداً صارت أجمل تأثيراً في نفس المشاهد ، وهناك نوع آخر من الزخارف الآجرية الا وهو الإستعانة بالقراميد المزججة ، وقد ظهر هذا على باب عشتار ببابل ، أو ما يسمى بالخزف المعماري في زخرفة البناء ، وظهرَ في العهد الإسلامي في قصر الإمارة الذي شيده الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 83هـ / 710م . وكانت قبته خضراء ، ولاشك أن إخضرار القبة كان من نتيجة إكسائها بالقراميد المزججة الخضراء .

وقد كان قصر المنصور في المدينة المدورة يسمى قصر القبة الخضراء ، والتي ظلت قائمة لأكثر قبل خمسمائة سنة ، وكانت رمزاً لمدينة بغداد وهي في موقع بارز فوق مرتفع وترى من مسافات بعيدة ، لكنها سقطت صيف 653 هجرية نتيجة فيضان عظيم تعرضت له المدينة ، ولازالت غالبية القباب في العراق تكتسي بالبلاطات

المزججة ، وقد إنتقلت هذه الظاهرة الجديدة في الزخارف المعمارية من العراق الى بقية الأقطار الإسلامية التي تستخدم الآجر في البناء

وقد كان قصر المنصور في المدينة المدورة يسمى قصر القبة الخضراء ، والتي ظلت قائمة لأكثر قبل خمسمائة سنة ، وكانت رمزاً لمدينة بغداد وهي في موقع بارز فوق مرتفع وترى من مسافات بعيدة ، لكنها سقطت صيف 653 هجرية نتيجة فيضان عظيم تعرضت له المدينة ، ولازالت غالبية القباب في العراق تكتسي بالبلاطات المزججة ، وقد إنتقلت هذه الظاهرة الجديدة في الزخارف المعمارية من العراق الى بقية الأقطار الإسلامية التي تستخدم الآجر في البناء

4 – الرسوم الجدارية

عَرفَ الإنسان العراقي قديماً الرسوم الجدارية الملونة في أفضل أشكالها ، وذلك في عصر جمدت نصر جنوب العراق حيثُ زينت جدران المعبد الملون ، وهو معبد أُقيمت جدرانه فوق أرضية مطلية بالقار ، وكانت جدرانه مغطاة بطبقة من ملاط طيني بسمك 3- 5 سنتيمتر ، صبغت باللون الأبيض بواسطة مادة جصية خفيفة من الخارج ،أما في الداخل فقد طليت جدرانهُ بالماء الملون الثقيل عدة مرات حتى أصبحت الجدران ناعمة من الطين المخلوط بالتبن ، ثمَ طليت باللون الأبيض وهي المادة الجصية نفسها ثم قام الفنان برسم الأشكال باللون الأحمر أو البرتقالي وحددها باللون الأسود الى جانب اللون الأحمر ، وكان النظام الذي أعتمده الفنان في توزيع الألوان هو الحقول الشريطية وهو الأفضل ، أما الأجزاء السفلى من الجدران فقد طليت باللون الأحمر وعلى ارتفاع متر واحد تقريباً ، وتحتوي هذه الأشرطة على أشكال زخرفية هندسية ارتفاعها 30 سنتمترا، أما الأجزاء العليا فكانت مزخرفة برسوم أشخاص وحيوانات

ولم يبقى من الرسوم إلا الأجزاء السفلى من الجسم ، بسبب فقدان الجزء الأعلى من الجدران ، وكانت رسوم الواجهة ذات طبيعة معمارية ، حيثُ تحتوي الواجهة على دخلات وطلعات ملونة وبخطوط متوازية ، وتحتوي على نقوش هندسية تشابه والزخارف الموزائيكية التي عرفناها في الوركاء ،

ولابد أن يكون الإنسان في العراق قديماً قد أستخدم الألوان في تزيين مبانيه وزخرفها وقد أقتصر استخدام الألوان على تزيين المباني الدينية وذلك في العصور السومرية تحديداً، وعرف السومريون النقوش البارزة والمسطحة ، حيث استخدموا

الأحجار والمعادن والأصداف في إنجازها ، وزينت بها الأفاريز والأبواب وغيرها ، وظهرت الرسوم الجدارية الملونة في العصر البابلي القديم أيضاً وفي مدينة ماري، حيث عُثِرَ على لوحة جدارية في قصر الملك زمريلم الأول ملك ماري ، و بدى وكأنه يتناول إشارات السلطة من الآلهة عشتار ، كما عُثر على مشاهد أخرى تمثل جنوداً محاربين ومنظراً أسطورياً يرينا الليل والنهار،

وفي بوابة عشتار نقشت أشكال حيوانية خرافية مثل الثيران والأسود وحيوانات ، تبدو خيالية أو أسطورية ، وكانت الثيران ذات اللون البني ، خضراء القرون والحوافر ، وقد رسمَ حول ظهورها وذيلها خط أزرق ، وكانت الأسود بيضاء مضللة بالأصفر عند الأنياب والمخالب وطرف الذيل ، وهذا النوع من الزخرفة على الآجر كان معمولاً به في البناء في بلاد الرافدين منذ العصر السومري ، ويشهدُ شارع المواكب وباب عشتار على الدور الذي لعبهُ الآجر في زخرفة المباني العامة في بابل في العصر الكلداني ، ولاشك إن هذا كان امتداداً لما كان معمولاً به في عصور عميقة في التاريخ، نظراً لوجود بعض القطع الأثرية التي عُثر عليها في المناطق الجنوبية وأماكن أخرى من أرض الرافدين وهي تحمل صفات الآجر الخزفي ،وهذه البوابة كما هو معروف عند البابلين تمثلُ المدخل المؤدي لطريق الاحتفالات والمواكب التي تقوم بتقديم النذور والهدايا الى الآلهة ،وقامَ متحف برلين في أعادت بنائها بعد أن نقلت حجرة حجرة ، ليتيح لرواده مشاهدة أحد روائع الفن المعماري القديم دون الإنتقال الى بابل نفسها .

ومن هذه المعالم تلك النقوش التي وجدت في فناء قاعة العرش الموجودة في أحد قصور بابل الشاهقة ، وقد نقشت الزخارف الخارجية على الآجر المزجج . ويظهر فيها موكب الأسود تعلوه أعمدة مترادفة صفراء اللون تشكل زخارف نباتية على شكل أعمدة أيونية تشكل تيجان مؤطرة بأفاريز مزخرفة ، ينتهي التاج العلوي بأشكال دائرية على شكل تيجان وكل تاج يحتوي على مجموعة من زهور اللوتس ، أما الألوان فهي صفراء وسوداء وبيضاء ، ويبدو أن هذه التيجان تحملُ تأثيرات آشورية أو أنها جاءت من قبرص أو فينيقيا. وظهرَ التوافق التام بين العمارة والزخارف ،التي تشكلُ هذا العدد الكبير من الحيوانات البالغ خمسمائة وخمسة وسبعون تنيناً ومائة وعشرون أسداً، وكان الجزء السفلي مزين بزهرة اللوتس ويقابلها في الجزء العلوي صنفٌ من نفس الزهور في أحجام اكبر ويتوج المبنى كلهُ شرفات مسننة.

انتقل هذا التأثير الفني على العمارة في العهد العباسي ، وخيرُ شاهد بقي حتى وقتنا الحاضر الزخارف الآجرية الموجودة في الواجهة الداخلية للمدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله

المنحوتات المُجسمة.

وجدت في مدن متعددة من بلاد الرافدين مجاميع من التماثيل المجسمة ، وهي لرجال ونساء في حالة وقوف أو جلوس ، وتقترب هذه التماثيل الى الواقعية، والإتقان في الصنعة ، إضافة الى مميزات أخرى في حركة التمثال وتفاصيله وزخرفته،وتميزت العمارة العراقية القديمة بالمنحوتات الكبيرة الملاصقة للجدران ، ويبدو إنها قد شملت جميع المراحل الحضارية ، لكنها كانت واضحة عند البابليون والآشوريون ، وتتكون أشكالها عادةً من رأس إنسان وجسم حيوان وجناحي طائر ، وهي تجمعُ القوى العظيمة المُسيطرة التي أولتها الديانة والأساطير العراقية القديمة كل إحترام وتقديس.

وهي في ما كانت الأغلب تزينُ بها جدران المعابد والقصور ، وتتركز وظيفتها في إضفاء الهيبة والوقار على الصرح المعماري ، أو لطرد الأرواح الشريرة ، بالإضافة الى وظيفتها الجمالية التي تعبر عنها قوة التعبير والإتقان ،

وقد ظهرت المنحوتات البارزة عند الآشوريون وشملت جميع مراحل الإمبراطورية ، حيث كانَ القصر الملكي الآشوري متميز بالعظمة ، وسعة المداخل وعلوها ، ورفاهية الأثاث والأرضيات المفروشة بالسجاد ، وكانت جدران الغرف والقاعات مزينة بزخارف وأشرطة مزخرفة مكونة من ألوان متباينة ، ونقوش من الرخام بصفة عرضية .

وتعد القاعات الخاصة بالاحتفالات والتي تؤلف الجزء الأكبر من المجموعات الآشورية المحفوظة في كل من لندن وباريس وبرلين .

إنَ أول الملوك الآشوريين الذين استعملوا هذه المخلوقات الحارسة ، هو آشور ناصر بال الثاني ، رغمَ أن الكتابات الآشورية تشير الى وجودها قبل زمن هذا الملك ، لقد أدت هذه المخلوقات المركبة خدمتين أساسيتين : الأول كما سبقَ ذكره وهو لحراسة المداخل وحماية المباني بطرد الأرواح الشريرة منها ، والثاني هو غَرض معماري تزييني ، حيثُ أنَ هذه المخلوقات تغلف جدران المدخل من الجانبين ،

انسجاما مع فكرة استمرار الألواح المرمرية المنحوتة بالنحت البارز التي تزين وتحفظ الجدران في المباني الآشورية ، وتقابل هذه المنحوتات المشاهد بهيأتها الأمامية وهي واقفة بوضعية الحراسة على زوج واحد من الأرجل ، بينما نحتت أرجلها الأربعة في حالة سير عند امتداد المَدخل ، فيكون مجموع أرجلها خمساً ، وهو أمر اقتضتها الضرورة في إظهار وضعية الوقوف الأمامية وحالة السير الجانبية ، وهذه التماثيل تتألف من صفائح المرمر والجبس، وبفعل العوامل الطبيعية (أصبحت هشة عند اقتلاعها لأن الحجر مازال يحتفظ برطوبته الطبيعية ويأخذ في التصلب كلما جف) ويبدو أن هذه الصفائح كانت توضع بمستوى الأرض ، ولم تكن تستعمل لصنع الأفاريز التي كان الإغريقيون يستعملونها ، وهناك آثار الربطات التي نحتت بعد تثبيتها في الموقع وقد غطت هذة المنحوتات مساحات كبيرة ، وهذا ما يضعنا أمام صورة هذه الإمبراطورية وقوتها التي استطاعت أن تنجزَ مثل هذا الشئ الكثير في فترة قصيرة من الزمن ، ذلك أن بناء خرسباد لم يستغرق سوى خمس سنوات تقريباً ، وكانت موضوعاتها محددة وفي أغلبها مشاهد الصيد والرياضة

تتميز عمارة بلاد الرافدين بالمظاهر والمعاني الجمالية التي ظهرت عليها منذ أقدم العصور وانتقلت بشكل تدريجي وتركت تأثيراتها على العمارة والبناء في وقتنا الحاضر، حيث أن تاريخ بغداد مثلا يعكسُ خليطاً استثنائيا من التأثيرات الحضرية، بدءاً بحضارة الرافدين القديمة ، الآشوريين ، العباسيين ، البويهيين ، السلاجقة ، المغول، التركمان ، الصفويين ثم العثمانيين ، هذه الحقب التاريخية التي شهدتها والمهارة في البناء ، إضافة الى ما ذكر من امتزاج للتقاليد المعمارية المختلفة .

فمدينة سلوقية على سبيل المثال إحتوت على زقور وهي الصفة البارزة في عمارة العراق القديم ، واشتملت على معابد ذات تصميم بابلي قديم ، وإحتوت أيضاً على المسرح والملعب وعلى الأكوارا ، وهما من العناصر المهمة للمدينة الإغريقية .

تأثر الفن الإسلامي بفنون الحضارات الأخرى ، التي عاشت على نفس الأرض وتأثرت بنفس الظروف البيئية والمناخية ، وأخذت الفنون الإسلامية هذه التأثيرات بشكل عبقري وفعال مع إضافات جديدة ، وتأثر المصورون ببعضهم بشكلٍ متواصل، وبالطبيعة المحيطة بهم ، وهو ما يدفعُ الفن الى أن تَبلغ حلقاته غايتها وتكاملها التشكيلي .

إبتكرَ المصريون النظام المعماري (ماقبل الدوري) ، و أخذت منه أشكال الأعمدة النباتي الموجودة في عهد الإسرة الثانية عشر ، وأخذَ منه الإغريق وطوره حتى بلغوا فيه قوة الكمال .

وبدورها تأثرت القيروان بفنون الرافدين والفنون الإغريقية، فلو نظرنا إلى نقوش المنابر(منبر جامع قرطبة بالقيروان) الذي يشكل مرجعاً للتأثيرات البيزنطية والساسانية يظهر عليه جلياً تطورات الفن الإسلامي وريث فنون الشرق القديم ، وتتمثل هذه التطورات في

(المربعات الخزفية ذات البريق المعدني) ، وجامع عقبة بالقيروان الذي بني ببعض بقايا الأطلال الرومانية ، و كانَ يشكلُ حيزاً من الإبداع انطلاقا من خامات أُخذت من الأسلاف ، وكانت طبيعته نباتية تصميمية وتخطيطية وعناصرها المعمارية كلها أثرت في المنشآت المعمارية للمساجد في بلاد المغرب العربي، كالمساجد الزيرية ، الحمادية ، المرابطية والموحدية ، وتتشابه مآذنه بطابع القيروان المعماري ، الذي انتقل بدوره إلى الأندلس وتآلف مع تأثيرات مشرقية (ومثال ذلك في قرطبة) ، ثم عادَ الى خصوصية الفن العربي الإسلامي في بلاد المغرب ممثلاً في قرطبة ثم غرناطة ، وأهم مايميزُ شكل المئذنة قاعدتها المربعة ، بينما تأخذ شكلها المدور في بلدان المشرق الإسلامي .

ارتبطت العمارة في المغرب العربي بالأرث الأندلسي الى حدٍ كبير ، وهو في العمق وريث طابع القيروان المُنبعث أصلاً من أسلوب العمارة في بلاد الرافدين في الفترة الإسلامية المتأثرة بدورها بالخصائص العراقية القديمة ، وفي الواقع فإن مؤرخو الفنون أمثال جورج مارسيه ، وبروسبير ريكار، وهنري تيراس اختلفوا حول الأصل الزخرفي الموجود في المغرب العربي ، وإن إتفقوا على أن الأصل في الأندلس ، غيَر أن هناك من يرى إن أصلها الحقيقي يرجع الى بلاد الرافدين

تكونت لدى العراق ثروة معمارية عبرَ الحضارات التي نشأت على أرض الرافدين ، وكانت حصيلتها مجموعة من النشاطات الفنية ، أفرزت أشكالاً تتابعتها الأجيال ونقلتها عِبرَ المراحل التاريخية ، واستطعنا أن نتلمس هذا التدرج في الأشكال في كثير من المعالم المعمارية التي ظهرت في العراق وفي بغداد تحديداً .

وقد إنصهرت هذه الموروثات لتفرز عمارة عراقية عربية نابعه من البيئة المحلية، ومستمدة من جذور الحضارات القديمة ، إنعكست بدورها على متطلبات

المجتمع الإسلامي ، كالمساجد والمدارس ، الأمر الذي أضاف اليها ملامح معمارية متميزة

كانت العمارة العراقية في العهد الإسلامي خاضعة للطريقة التي فرضتها ظروف ، مثل الحروب والفتوحات التي فتحت آفاق التبادل ، ونقل تراث وعادات شعوب وبلدان مختلفة فضلاً عن المبادئ الروحية للإسلام ، بالإضافة إلى التأثيرات الطبيعية والمناخية .

المصادر

1- د. عبد العزيز حميد ،الزخارف المعمارية، **حضارة العراق**.ج9 ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص 371

2 - د. احسان فتحي . د. جاسم الدباغ ، **مجلة الثقافة الجديدة** . العدد290. دمشق 1999، ص 32

3- د. فوزي رشيد ،" **أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر واكد"**، مجلة فنون عربية، العدد الأول، بغداد1981، ص .09 -10

4 - د. عفيف بهنسي ، **جمالية الفن العربي** ، عالم المعرفة ، 1979 ،ص 144

5- نيكولاس بوستغيت ، ترجمة سمير الجلبي، **حضارة العراق وآثاره** ، دار المأمون .بغداد، 1991 ، ص 106

6 - افرام عيسى يوسف ، **ملحمة دجلة والفرات** ، ترجمة علي نجيب ابراهيم ، دار الحوار، سوريا 2001 ، ص 110

7- د .حسن الباشا، **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** ، الدار العربية للكتاب القاهرة ،2000 ،
ص. 25

8- د.علي القاسم،**العراق في القلب، دراسات في حضارة العراق** ، بيروت.المركز الثقافي العربي2004، ص 71

9 - د. واثق إسماعيل الصالحي، **العمارة في العهد السلوقي والفرثي. حضارة العراق ج 3** ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص . 209 – 212

10 - عادل نجم عبو ، القباب العباسية في العراق ، رسالة ماجستير غير مطبوعة . بغداد 1976 .

11 - د. مؤيد سعيد ، الرسوم الجدارية منذ أقدم العصور . **حضارة العراق** . ج3 ، بغداد 1985، ص. 297

12- خالد خليل حمودي الأعظمي . **الزخارف الجدارية في آثار بغداد** ،. رسالة ماجستير ، بغداد 1980، ص101

13- خالد خليل حمودي الأعظمي . **الزخارف الجدارية في آثار بغداد** ،. رسالة ماجستير ، بغداد 1980، ص101

14- إ د. إحسان فتحي . د . جاسم الدباغ ، **مجلة الثقافة الجديدة** العدد290 . دمشق، 1999 ، ص. 32- 34

15- د. ثروت عكاشة ، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية** ، القاهرة .1981، ص. 34

16 - د. عثمان إسماعيل عثمان ،.**تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج4**، مطبعة المعارف الجديدة . الرباط 1992، ص . 303

17- د. عيسى سلمان حميد ، **حضارة العراق** . **ف1 .ج9** ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص.29

18- ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الواثي) . **تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، بيروت 1964، ص. 72